

Al-Ahwaz

From: "word hayavi" <word20@msn.com>
To: <al-ahwaz@al-ahwaz.com>
Sent: Sunday, June 29, 2003 10:58 AM
Subject: قصة قصيرة

خييون والعاشقون

بينما كنت ماشيا في أحد أسواق مدينة أبوشهر برفقة زوجتي , إذ أستوقفني رجل ودون أن يلقي السلام قال لي .. عمي .. أشتري لي حزام 0

وقلت له هل تعرفني .. قال نعم أعرفك أنت فلان ابن فلان وهذه زوجتك فلانة بنت فلان ... وأردف قائلا لقد رأيتك مرة وسألت عليك وأنا لا أنسى أبدا 0

قلت له خذ هذا المبلغ واشتري ما شئت 0

قال... عمي لو أردت مالا لطلبت منك مالا , لقد طلبت منك أن تشتري لي حزام فهل ستشتري أم أذهب قلت .. طبعا سوف أشتري , ولم يكن بيننا وبين بائع الأحزمة سوى أمتار معدودة .. فأخذ الحزام وقال نعم الله عمي وذهب 0

وحين سألت زوجتي هل تعرفين الرجل ... قالت نعم .. هذا خييون المجنون... وقلت لها وكيف عرفتني أنه مجنون .. ردت بقولها لأنه مجنون وكل الناس يعرفون أنه مجنون 0

كانت رائحة كريهة تنطلق من جسد ذلك المسكين الذي يناهز عمره الأربعين سنة , يرتدي دشداشة رثة ممزقة عفى عليها الزمن ولم يعد لها لالونا ولا معالم , كان حافي القدمين - بل تحولت قدماه إلى حدائين أسودين مفلطحين , فيبدو أن قدميه لم تعرف الأحذية منذ الولادة , وكان عاري الرأس وشعره طويلا وكثا ومبعثرا تحولت الشعرات البيض فيه إلى اللون البني وربما لم يلامس رأسه سوى ماء المطر منذ سنوات والأمطار عندنا شحيحة كشحة عطائنا للوطن , ملامح وجهه تداخلت في بعضها فالأذنين كأنهما قطعة من شعر الرأس , وضاعت مقدمة الأنف والفم بين اللحية والشارب فأصبح وجهه يبدو كقطعة من الشعر تتأثرات في مساحته معالم إنسان أو مخلوق كان من المفروض أن يكون إنسان..... وتساءلت مع نفسي **أيعقل أننا نعيش في دولة إسلامية أو حتى تدعي الإسلام... وكم سيكلف الدولة هذا الرجل وأمثاله فيما إذا هيأت لهم ما يحفظ إنسانيتهم , وهل ثواب بناء السجون وحتى المساجد مثل ثواب بناء الملاجئ للمساكين عند الله ,, وهل يُعقل أنه لا توجد في طهران وأصفهان وشيراز ملاجئ لمثل هؤلاء المواطنين .. أم أن مجانيتهم غير مجانيتنا — ثم هزرت رأسي وأنا أدمم مع نفسي وأجيبها ,, إذا كانوا لا يحترمون العقلاء فهل يحترمون المجانيين 0**

ذهبت إلى بيت احد أبناء عمومتي وما زالت صورة خييون في مخيلتي , وبعد أن جلسنا سألته ماذا تعرف عن خييون .. فضحك ابن عمي وقال لماذا . قلت مجرد فضول .. قال ما أعرفه أنه مجنون ,, قلت وماهي علامات جنونه .. قال حديثه حديث مجانيين , ثم انه يمشي كل الأحواز على قدميه ولا يركب سيارة أبدا , فمثلا يمشي من معشور حتى العميدية ويبقى هناك عدة أيام في شوارعها ويأكل في أي بيت من بيوت العرب فالكل يعرفه , ثم يذهب إلى مدينة أخرى وهكذا , , حتى أن بعض الصبيان يكتبون على ظهره — السرعة القصوي 60 كم في الساعة — ثم انه يرفض البقاء في أحد البيوت . قلت لم أفهم لماذا يمشي كل هذه المسافات ولكني ربما فهمت لماذا لا يبقى في احد البيوت . قال ابن عمي ولماذا في رأيك .. قلت لأنكم تعاملونه معاملة المجنون وفي نظره العكس صحيح .. قال وكيف .. قلت هو يراكم مجانيين ومع هذا يعاملكم بلطف ورقة ولا يهتم منكم أن تعاملوه بطريقة التعالي عليه , فهو يحبكم جميعا ... وقال وكيف عرفت أنه يحب الجميع .. قلت , لقد أحسست حين طلب من اليوم أن أشتري له حزام أنه يحبني , كان ذلك واضحا في عينيه ... 0

ثم قال لي ابن عمي ولماذا يعتبرنا مجانيين **قلت له وهل تعتقد أن الذي يُضَيِّع الوطن إنسان عاقل .. قال نحن لم نضيِّع الوطن , لقد أحتلوا وطننا وهذه مسألة ضعف وقوة , قلت بل مسألة عقل وجنون وليست ضعف وقوة , لأن**

العقل أيضا قوة .. أنزعج ابن عمي من حديثي , فغيرت الموضوع ... 0

بعد سنتينتجمّع عرب من أهل مدينة عبادان من كل حذب وصوب في مدينة الفلاحية .لأدري كم كان عددهم ولكنهم في المئات , وانا أيضا توقفت بسيارتي على الجانب الآخر من الطريق أنظر إليهم بتمعن وأنظر ما ينظرون ..كل العيون كانت تترصب بشباك صغير في بناية للحرس الثوري لعله يُفتح لهم لكي يحصلوا على جواز سفر وتأشيرة ليطيروا بسياراتهم إلى المعشوقة ..فبعد أن أحتلت إيران مدينة الفاو العراقية , ضمّوا مدينة عبادان وضواحيها الجنوبية إلى الفاو , ولم يعد باستطاعت العشاق أن يزوروا المحبوبة إلا بموافقة رسمية من الجهات العليا ..كان الحرس الثوري هو المكلف بهذه المهمة , فهو الذي يُدخل الناس إلى الجنة أو النار , وهو الذي يحدد المؤمن من الكافر , ولديه سراط مستقيم يمر عليه الناس تباعا ليميزوا بين ميزان الحسنات والسيئات , وهم يعلمون الغيب ويقروّن ما تخفيه الصدور , وهم الحق والحق هم 0

حاولت أن أميّز بين كل هذه الجموع التي أعرف معظمها وأبحث عن واحد فيهم لايبدوا شغف المُحب في عينيه ولم أعر .منهم من جاء في الساعة الخامسة صباحا , والساعة الآن شارفت على العاشرة صباحا والملائكة لم يفتحوا شباكهم بعد , والناس تتطلع إلى ذلك الشباك اللعين لعل واحدا من أبناء الله يظهر ويوزع صكوك الغفران على العاشقين ..والغريب رغم أنه طبيعي لم أرى ولا مستوطنا واحدا بين المساكين العرب .. 0

كنت أشعر أننا نعيش في كوكب آخر غير الأرضرغم أن الأحوازيين هم الأحوازيون أنفسهم ولكن الطرف الآخر هو المخلوق العجيب الغريب بصفاته , فهو يشبهنا في الخلفة ويختلف في الصفات ,ففي الحين الذي أرى طيبة الأحوازيين التي لاحدود لها وهي بادية على وجوههم وأرى مشاعر فياضة كلها صدق وإيمان وشوق عارم , أرى ومن بعيد في المقابل وجوه محشوة بالقسوة والتعنت والصلف , وجوه تكره كل شيء في الدنيا حتى أنفسهم ,وبالضبط مثل منظر الحرب والسلام أو الموت والحياة , كنت أرى في عيون الحرس حين يطل أحدهم على المساكين بين البرهة والأخرى حقا على هؤلاء الطيبين , لعلهم يعلمون ويدركون أن هؤلاء يعشقون أرضهم وهذه العلاقة الحميمة لاتعجبهم ,فرغم أن المنطقة كانت ميدان حرب ولاأحد منهم يعلم إن كان سيعود إلى أهله أم يدفن هناك لكنهم مندفعون مثل إندفاع العاشق الذي يساوي عنده لقاء المحبوبة ثمن الحياة 0

وسر من أسرار الخلق هذه العلاقة بين الارض والإنسان - خلق منها ويعيش عليها ويدفن فيها ويخرج منها ثانية ... هذه البقعة من الكرة الأرضية التي يسميها الإنسان الوطن ..يقاثل من أجلها ويضحى بأبنائه وماله من أجلها , فيحبها أكثر من النفس والمال والولد ,...لقد رأيت الكثيرين حين يُقبل على أرضه بعد غياب كأنه أقبل على طبيعة نابضة في الحياة - فهو يسمع شكوى النخيل وأنين الأرض وتمتمة أشجار السدر , ورأيت منهم من كان يودع أرضه حين تنتهي الزيارة , فيضرعها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ويمسح بيديه جذوع النخل كأنه يمسح دموعها , ويغادرها بأرجلٍ يسحلها سحلا وشوقا مازال بين ثنايا صدره لم يشبع من قرب المحبوبة ...هؤلاء الطيبون كانوا يقرأون تاريخ حياتهم في كتب أرضهم , ففي كل زاوية حكاية وتحت ظلال كل نخلة قصة , وبجانب التور يتذكر الرجل المسن صباه وأمه , وبين غلاغل الحلفة والقصب كانت اول سجارة دخنها خلصة ..ولقد قال لي رجل من الاحواز كان في زيارة لمصر أيام زعيمها وزعيم العرب الراحل جمال عبد الناصر , أن أحد المصريين سأله هل رأيت في حياتك أجمل من أم الدنيا مصر ..يقال له نعم , الحلفاية ..وقال المصري وما هذه الحلفاية .فرد الرجل عليه أنها أجمل مكان رآته عينا في الدنيا وهي في الأحوازوحين سألت الرجل نفس السؤال قال لي إنها زياية حلفة في الصبح كنا نجلس في وسطها أنا وأبناء عمومتي أيام الصبا وبالفعل لم أجد لحد الآن وانا في السنتين أجمل منها 0

وبين كل ذلك الزحام رأيت رجلا وكأني أعرفه ,,كان باسمه وكأنه عصفور لايستقر على غصن فينتقل من مجموعة تتحدث إلى مجموعة عيونها مُسمرّة على الشباك , لايشارك أحدا الحديث ولا يشاركه أحد ..حاولت أن أتأكد من ملامحه فهي مازالت مطبوعة في ذاكرتي ..ولكن هل يُعقل أن خييون يأتي إلى الفلاحية وماذا يفعل هنا .. شدّي الفضول كثيرا لهذا الرجل , طلبت من ابن عمي أن يذهب ويحضر خييون لكي أكلمه ..رفض ابن عمي قائلا يأخي هذا مجنون فماذا ستستفيد من الحديث معه ,كررت السؤال فأمتمت ابن عمي وأحضر خييون..... 0

كنت جالسا في سيارتي وخييون وقف بجانب السيارة وبعد أن سألته عن أحواله , جلبت أنتباهي دشداشته فهي تبدوا نظيفة هذه المرة ثم أن شعر رأسه يبدوا أن الماء قد لامسه أيضا , ولكنه مازال حافي القدمين ...قلت له ماذا تفعل هنا , هؤلاء الناس يريدون الذهاب إلى عبادان , لديهم منازل ومزارع ...قال ألا تنظر إلى دشداشتي ولقد سبحت

البارحة , أنا أيضا أريد الذهاب إلى القصبه .قلت أنت لاتملك نخلة واحدة فلماذا تذهب ...قال لي وبالحرف الواحد , عمي رأسي يؤلمني وكل ما أخذ حبوب , الألم لايزول .وكنت زمان أيام القصبه عندما يؤلمني رأسي أجلس وسط الداير - الساقية- واخذ من الطين وأمسخ على رأسي وأشعر أن الألم قد زال , وأردف قائلا عمي القصبه دوى للمريض ,,,,لم يدهشني جواب خييون بقدر ما أدهشني أن يصدر من هذا الرجل الذي يقول الناس عنه انه مجنون ,فشعرت ساعتها أنني أحترم هذا الإنسان اكثر من كثيرا من الذين يعتبرون أنفسهم عقلاء .وسألته ثانيا , لماذا تمشي من ديرة إلى أخرى على قدميك ولا تتركب السيارة , فرد قائلا هذا خوش سؤال ,,,,عمي يقولون ريحتي موحلوه وأنا أستحي أصعد وي الناس بالسيارة ,,,,وبعدين أنا ما عندي مرة ومحد ينطيني مرة وإذا ما أمشي وايد أموت وتذكرت على الفور المثل الذي يقول خذ الحكمة من أفواه المجانين ..هذا إذا كان فعلا خييون مجنون - أم أنه فضل الجنون على العقل في وطننا ...هذا الإنسان الذي يعشق الأرض وطين الأرض , هذا الذي جسّد لي أروع معاني ارتباط الإنسان بالإنسانية والأرض , هذا الذي أراد أن يذهب للقصبه وهو نظيف , وهذا الذي يعلم بالفطرة أن الطاقة إذا خزنت في جسم الإنسان قد تقتله , رأيته أعقل وأحكم من الحكام وأدرك منهم للإيمان وأقرب منهم إلى الله ... 0

وفي خضمّ الحديث الذي بدا لامعنى له بعد أن تذكر خييون أنه لابد ان يكون مجنونا ,,,, ثارت ضجة القوم وأندفعوا نحوا واحدا من أبناء الله وهو يلصق ورقة على الحائط فيها معلومات من السلطان الأعظم وعلى الحاضر تبليغها للغائب , بدأت الناس تفقد صوابها ,,,,فمنهم من يصيح الله أكبر هذا حرام , هذا ظلم , هذا كفر ..والآخر يقول نار في بطونكم إنشاء الله .. فطلبت من ابن عمي أن يستطلع الأمر لي فهو يعلم اني لأطيق رؤية تلك الوجوه العابسه من قرب ,,,ولكن أحد الأصدقاء جاء ليسلم علي لكنه نسي وقال لي وهو غاضب أندري ما يقولون - قلت لا - قال نذهب إلى أرضنا ونجمع التمر ثم يأخذون نصفه , يعني أرضنا ونخلنا وتعينا ولهم النصف , بالله عليك هل قرأت هذا في كتاب الله ... قلت نعم قرأته ولكن ليس في كتاب الله بل في كتب الكنيسة الأوربية في القرون الوسطى ,حين كان الرهبان والقساوسة يبيعون مفاتيح الجنة للفقراء ويأخذون نصف محاصيلهم , وقلت ,,,,هل كتبوا على الورقة أنها فتوة دينية من القائد العام ,,,,وقال لي ,أي فتوة ياأخي - هم خلوا فيها دين - 0...

قلت ... هم يعتبرون ما في الفاو غنيمة حرب بأعتبار أن أهل الفاو كفره وهم فتحوها فتحا مبينا , ويعتبرون إننا من أهل الذمة - وهؤلاء الذين كانوا غير مسلمين ولكنهم بذمة المسلمين , فيدفعون جزية مالية أو ضريبة مقابل توفير الأمن والأمان لهم ولمممتلكاتهم , ولكن هؤلاء سلبوا أمننا وأماننا بحجة الإسلام - ثم أحمد ربك أن رضوا بالنصف ,فهم لم يعطونا من النفط ولا قطرة ...قال ماذا تقول ياأخي ...قلت إذا منعوا عنك حتى النصف فماذا ستفعل هل ستذهب للقصبه أم لا ,قال ليس بيدي شيء أفعله لكني سأذهب ..قلت ولو قالوا لك ممنوع أن تأكل حبة تمر واحدة فهل سوف تذهب أيضا ..نظر صديقي في وجهي ملياً وودعني وهو يتحسّر وربما أدرك ما أعنيه ..وتذكرت ما قرأته يوما ...أن جنرال انكليزي كان يجلس في دار الأوبرا المصرية قبل أن يهدمها العدوان الثلاثي على مصر وبجانبه رئيس حزب الوفد المصري مصطفى النحاس وكان المطرب أحمد حمولي يغني ويقول يا من يجلي حبيبي ... وقال الجنرال للنحاس ماذا يقول هذا المطرب , فترجم له ما قال المطرب , ولكن الجنرال هزّ رأسه وضحك , وسأله النحاس عن سبب الضحك , فقال الجنرال لماذا انتم العرب هكذا ,حتى الحبيب ينتظر ...شخص ما يحظر الحبيبة له , لماذا لا يذهب ويأخذها بنفسه

وهكذا عشاق الوطن , وأن كان صحراء قاحلة ,, كلهم مثل خييون يحبون الوطن ,, فهو لايملك نخلا ولكن يملك في داخله قلب إنسان عاشق للوطن ..,.,.,.ولكن عشاق ضعفاء

هذه قصة قصيرة من الواقع الذي عاناه ويعانية الشعب الاحوازي فمتى ينتفض العشاق .. 0

أبو فراس

MSN Messenger - Wer in Echtzeit kommunizieren will, lädt den MSN Messenger. Cool, kostenlos und mit 3D Emoticons: [Hier klicken](#)